

قراءة في كتاب:

Descriptive Translation Studies and Beyond

Reading of the book:

Descriptive Translation Studies and Beyond

سفيان دويفي¹ *، Sofiane DOUIFI¹، يمينة سيتواح² Yamina SITOUAH

¹معهد الترجمة، جامعة الجزائر-2، الجزائر -، douifi98@yahoo.fr

²معهد الترجمة، جامعة الجزائر-2، الجزائر -، yaminatoumisitouah@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/04/13 تاريخ المراجعة: 2020/06/03 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص باللغة العربية:

تهدف هذه القراءة لكتاب جدعون توري (*Descriptive Translation Studies* (Gideon Toury) *and Beyond* (2012) أي (الدراسات الترجمة الوصفية وما بعدها)، النسخة المنقحة، إلى وصف محتوى هذا الكتاب وتحليله والذي لا يزال مثار اهتمام الباحثين في ميدان الدراسات الترجمة. وتتناول أيضا الأسس النظرية للكتاب وبعض أهم المفاهيم والنماذج المنهجية والأفكار الترجمة الأكثر مناقشة في الدراسات الترجمة الوصفية.

كلمات مفتاحية: قراءة؛ وصف؛ تحليل؛ الأسس النظرية؛ الدراسات الترجمة الوصفية.

Abstract:

This reading of Gideon Toury's book *Descriptive Translation Studies and Beyond*, revised version (2012), aims to describe and analyze the content of this book that is still of great interest to researchers in the field of Translation Studies. Thus it deals with the theoretical foundations of the book and some important concepts, methodological models and translational ideas most discussed in Descriptive Translation Studies.

Key Words: Reading ; Describe ; Analyze ; Theoretical Foundations ; Descriptive Translation Studies.

1. مقدمة:

يُعتبر جدعون توري* من أبرز الباحثين في الدراسات الترجمية المعاصرة نظرا لأهمية مؤلفاته وكثرتها، فقد أسهم في إثراء ميدان البحث بأكثر من سبعين مقالة، وثلاثين مراجعة لمؤلفات في الترجمة، إضافة إلى عشر مساهمات في إعداد قواميس وموسوعات ترجمية. كما أسس مع خوسي لامبارت (José Lambert) المجلة الدولية للدراسات الترجمية (Target) عام 1999م (Liu 2014, p.14). ودير بالذكر أنَّ من أهمِّ مؤلفات توري هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا لوصف محتواه وتحليله والموسوم بـ *Descriptive Translation Studies and Beyond* (2012) أي (الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها)، وهو نسخة نَقَّحها كاتبها لنفس العنوان الصادر عام 1995م، وهو بالأحرى تتويج للأفكار الترجمية التي أسَّسها توري في مؤلفه *In Search of a Theory of Translation* (1980) أي (البحث عن نظرية للترجمة). وفي هذا السياق، تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول الأسس النظرية للأفكار المحتواة في هذا الكتاب وقراءة ما تضمَّنه وصفا وتحليلا.

2. الأسس النظرية لأفكار الكتاب:

تأسس كتاب توري على أرضية نظرية ترجمية توطدت مواضعها ومناهجها مع نشوء ميدان علمي جديد في بداية سبعينات القرن الماضي عُرف بالدراسات الترجمية (Translation Studies) والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالهيكل التنظيمي الذي وضعه جيمس هولمز عام 1972م أو ما يُعرف بخريطة هولمز (Holmes's Map) أين حدّد هولمز تسمية وطبيعة الدراسات الترجمية وفروعها البحثية الثلاثة: النظرية والوصفية والتطبيقية (Holmes, 1972/1988)، وكان توري من الباحثين الفاعلين في تطور هذا الميدان العلمي لاسيما في فرع الوصفي. وترجع الأصول النظرية للأفكار المحتواة في هذا الكتاب إلى نظرية تعدد النظم أو تعدد الأنساق (Théorie du polysystème) لإيتامار إيفن زوهار (Itamar Even Zohar) والتي أعطت نفسا جديدا للبحث في الترجمة في بداية السبعينيات من القرن العشرين، وذلك بابتعادها عن النقاش الوحيد حول الجانب اللساني الذي طغى على الدراسات الترجمية والولوج في آفاق أخرى للترجمة مثل الثقافة والمجتمع والتاريخ. ظهرت نظرية تعدد النظم في خِصِّم دراسة إيفن زوهار للعوامل الاجتماعية والثقافية التي تُحدّد مسار ترجمة الأعمال الأدبية، والذي ركّز في بحوثه على دراسة الترجمة في إطار الثقافة المنقول إليها مبتعدا بذلك عن دراسة النصوص بمعزل عن بعضها بعض لأنه رأى أن وظيفة الترجمة تتحقق في إطار نظام ثقافي وأدبي معين.

وقد استلهم هذا الباحث فكرة "النظام" أو "النسق" (Système) من يوري تينيانوف (Jurij Tynjanov) الذي اقترح فكرة "النظام الأدبي" معتبرا أن النظام هو هيكل متعدد الجوانب والعناصر التي تتصل وتتفاعل فيما بينها (Munday, 2008, p.108). وتينيانوف هو أحد رواد المدرسة الشكلية الروسية التي ظهرت في عشرينات القرن الماضي، والتي دعت إلى دراسة الأعمال الأدبية في إطار نظام أدبي تتداخل فيه أنظمة أخرى ويرتبط بأنظمة ثقافية واجتماعية في حركة تنافس دائمة من أجل احتلال الموقع الأول في الأدب المعتمد (Gentzler, 1993, p.112). وبناء على ذلك، أخذ إيفن زوهار هذه الفكرة ليؤسس نظريته في الترجمة والتي صاغها في كتابه *Papers in historical poétique* (1979) أي (مداخلات في الشعرية التاريخية)، ومفاد هذه النظرية الترجمة المعروفة بنظرية تعدد النظم أو تعدد الأنساق أن الأدب المترجم هو نظام يتفاعل ويتنافس مع أنظمة أخرى في الثقافة المنقول إليها، ويتكون هو أيضا من أنظمة فرعية مثل ترجمة أدب الأطفال و ترجمة الرواية وغير ذلك والتي تتفاعل وتتنافس هي الأخرى فيما بينها داخل نظام الأدب المترجم وداخل النظام المتعدد المنقول إليه.

ويعتبر إيفن زوهار أن دراسة الأدب المترجم تكون ضمن نظام تتعدد بداخله نظم أخرى أو ما يسمّيه "تعدد النظم" الذي يعني مجموعة من النظم التي تتعدد وظائفها وتتفاعل فيما بينها لإنتاج عملية من التطور الدينامي المستمر في إطار شامل أو متعدد النظم، وهو بذلك شبكة من العلاقات المفترضة التي تُمكن الباحث من ملاحظة ظواهر الترجمة (Wolf, 2007, p.7). ويفهم من ذلك أن دراسة الترجمة تكون على مستويات متعددة ومركبة لا تختص فقط بنقاط النقاش المعتادة، مثل التكافؤ أو ترجمة المبنى والمعنى، بل على الباحث أن يدرس الترجمة في إطار أشمل وأوسع يتعلق بالنظام الثقافي والاجتماعي والتاريخي حيث تتحقق وظيفة الترجمة. وتهدف هذه النظرية إلى التوصل إلى حلّ مشكلات عامة تواجه الترجمة قد تخرج عن حقل المشاكل اللسانية في الترجمة لأن الترجمة لم تعد تفهم على أنها فقط ظاهرة لسانية ذات طبيعة وحدود معينة ولكنها ظاهرة متعددة الجوانب تتفاعل مع شبكة العلاقات الموجودة داخل النظام الثقافي المنقول إليه. ويرى إيفن زوهار على هذا الأساس أن الباحث في الترجمة لا يقتصر على دراسة التكافؤ بين النص الأصلي ونص الترجمة، بل ينبغي عليه أن يركّز على نص الترجمة باعتباره كيانا قائما بذاته في إطار النظام المتعدد المنقول إليه. ويبدو جليا أن فكرة دينامية الأنظمة وتعددتها هي التي أدت إلى التساؤل عن وضع الترجمات ووصفها ضمن الثقافات المنقول إليها.

وفي خضم تلك التساؤلات النظرية، أشرف إيفن زوهار على رسالة دكتوراه لأحد طلبته وهو جدعون توري عام 1977م الموسومة بـ *Translational Norms and Literary Translation into Hebrew: 1930-1945* أي (معايير الترجمة والترجمة الأدبية إلى العبرية: 1930-1945) فكانت انطلاقة توري في بحثه حول الترجمة على أساس مفاهيم نظرية تعدد النظم وتوجها في البحث نحو الوصف بدل التوجيه (Description vs. Prescription) ودراسة الترجمة في إطار الثقافة المنقول إليها، وقد طوّر توري أفكاره التي تضمنها مؤلفه *البحث عن نظرية عامة في الترجمة* (1980) ليتوجها بمؤلفه *Descriptive Translation Studies and Beyond* (1995/2012) أي (الدراسات الترجمة الوصفية وما بعدها)، ويعتبر هذا العمل من أهم كتب توري الذي رافع فيه عن أفكاره في الترجمة التي تعتبر الدراسات الترجمة هي علم امبريقي وأن للدراسات الترجمة الوصفية مكانة محورية في الدراسات الترجمة، فالوصف حسب توري هو من ينتج النظرية والتعميمات أو القوانين التي تحكم النشاط الترجمي (Gentzler, 1993, p.141).

3. وصف وتحليل محتوى الكتاب:

يحتوي الكتاب على أربعة أبواب تتشابك فصولها الأربعة عشر في نقاشات نظرية ومقاربات وصفية ودراسات ترجمة لعدد من النصوص الأدبية لشكسبير وغيره من الأدباء في لغات وثقافات مختلفة، وتتخلل سطور تلك الفصول مفاهيم ترجمة مثيرة للنقاش بين الباحثين في الترجمة مثل المعايير والتغييرات والاستراتيجيات ومشكلة الترجمة وسلوك المترجم والجانب الثقافي والاجتماعي في الترجمة.

يستهل الكاتب مؤلفه بمقدمة موسومة بـ "A case for Descriptive Translation Studies" (حالة خاصة للدراسات الترجمة الوصفية) يرافع فيها المؤلف على أهمية الدراسات الوصفية التي تقوم على مناهج خاصة بالترجمة على شاکلة العلوم الأخرى وحاجة الدراسات الترجمة إلى فرع منهجي ينطلق من افتراضات واضحة ومزود بمنهجية وبتقنيات بحث تكون واضحة قدر الإمكان ومبرزة ضمن الدراسات الترجمة. ويشير توري في هذه المقدمة إلى طموحه في أن تثير هذه النسخة المنقحة نقاشات مثمرة لما تميزت به من تقويمات وتغييرات منهجية ونظرية عن النسخة الأولى.

ونطلع على محتوى الكتاب من الباب الأول الموسوم بـ "The pivotal position of Descriptive Translation Studies and Translation Studies" (المكانة المحورية للدراسات الوصفية

في إطار الدراسات الترجمية) أين يعرض توري بالتفصيل فروع خريطة جيمس هولمز والتي تعتبر أول هيكل تنظيمي مؤسس لميدان الدراسات الترجمية (Tourey, 2012, pp. 3-4)، ثم يشرح الكاتب تنظيم الدراسات الترجمية الوصفية التي تنقسم إلى ثلاثة مجالات من الدراسات: مجال الدراسات التي تهتم بناتج الترجمة ومجال الدراسات الخاصة بوظيفة الترجمة ومجال الدراسات الخاصة بعملية الترجمة (pp. 5-8)، ثم يأتي على تفكيك الخيوط المتشابكة بين الدراسات الترجمية الوصفية ونظرية الترجمة، كما يخصص الكاتب جانبا مهما في هذا الباب لشرح الامتدادات التطبيقية للدراسات الترجمية (pp. 9-11). وتتجلى من هذا الباب الفكرة الجوهرية التي يدافع عنها توري والتي مفادها أن الدراسات الترجمية هي علم إمبريقي يخضع للملاحظة المنهجية والفرضية والتجربة.

ويحتوي الباب الثاني الموسوم بـ "A rationale for Descriptive Translation Studies" (الأساس المنطقي للدراسات الترجمية الوصفية) على سبعة فصول: يتمحور الفصل الأول والموسوم بـ "Translation as facts of a target culture: An assumption and its methodological implications" (الترجمات باعتبارها حقائق في الثقافة المنقول إليها: افتراض ومقتضياته المنهجية) حول مقارنة الترجمة في إطار منهج موجه نحو الهدف على اعتبار أن الترجمات هي حقائق ثقافية، ويتطرق كذلك إلى مفهوم الترجمة المفترضة وإجراءات الاكتشاف والتبرير في عرض مميز لمنهجي الاستقراء والاستنباط واستعمالهما في البحث (pp. 17-31).

ويأتي الفصل الثاني "The notion of 'problem' in Translation Studies" (مفهوم المشكلة في الدراسات الترجمية) بشرح مستفيض لمفهوم "المشكلة" في الترجمة وأوضاعها الاصطلاحية المستعملة في الدراسات الترجمية الحديثة (pp. 35-43). ويلحق هذا الفصل بمثال عملي (Excursus A) بعنوان "Pseudotranslations and their signification" (الترجمات الزائفة ودلالاتها) توضيحا لاستعمالات الترجمات الزائفة أين يعطي المؤلف مثالا عن ترجمة رواية "Papa Hamlet" (بابا هاملت) التي نشرت عام 1889م على أنها ترجمة من اللغة النرويجية إلى اللغة الألمانية، وفي حقيقة الأمر أنها لم تكن ترجمة بل كانت عملا أدبيا باللغة الألمانية لروائيين ألمانيين هما: يوهانز شلاف (Johannes Schlaf) وأرنو هولز (Arno Holz) (pp. 47-55).

أمّا الفصل الثالث فيُتمثل مركز ثقل الكتاب ومربط الفرس وهو بعنوان "Being a norm-governed activity" (الترجمة نشاط تحكمه معايير) ويحتوي على مقابلة لثنائية الترجمة والمعايير

وتدرج السلوك الترجمي بين الاتفاقيات الجماعية والمعايير والنسبية في هذا التدرج، ثم يتساءل المؤلف عن معايير الترجمة وكيفية مناقشتها وإمكانية تنافسيتها في إطار ثقافي واجتماعي معين (pp. 61-76). و يقدم توري في الفصل الرابع "Studying translational norms" (دراسة معايير الترجمة) نظرة عامة لمعايير الترجمة بشرح المعيار المبدئي في الترجمة ثم تعدد معايير الترجمة وأخيرا كيفية استخلاصها (pp.79-87).

ويستدل القارئ من هذا الطرح المتعلق بالمعايير أن مفهوم المعايير المستخدم عند توري في وصف الترجمة قد بني على فكرة أن الترجمة نشاط اجتماعي وثقافي يقتضي وجوبا وجود لغتين وثقافتين على الأقل، أو بالأحرى نظامين معياريين مختلفين، وأن تحديد المعايير التي تتحكم في هذا النشاط يُزيل الستار عن كلّ ما اكتنف هذا النشاط الاجتماعي من بدايته إلى نهايته. كما يستدل القارئ أيضا إلى أن سبب اهتمام توري بالنظام المنقول إليه هو أنه الوسط الملائم لملاحظة الترجمة فيه، فهو يضع الدور الاجتماعي للمعايير في مكانة مهمة في منهجه دون حصر مفهومها في السياق الاجتماعي ولا في العوامل المتدخلة في ذلك، فالخلفية الاجتماعية للمعايير تقود إلى تحليل العناصر اللسانية والثقافية المسؤولة عن وضع معايير الترجمة التي تتحكم في عمل المترجم بصفته فردا يتجاذبه مجتمعان مختلفان، وتلك العناصر اللسانية والثقافية توجه سلوك المترجم وقراراته في فترة زمنية محددة وفي مجتمع معين.

ولا شك أن مفهوم معايير الترجمة هو من أهم المفاهيم التي مازالت تثير اهتمام المتخصصين في الترجمة بالرغم من ارتباطها الوثيق بأفكار جدعون توري. وفي هذا الإطار، يعرف أندرو تشسترمان (Chesterman, 1993, pp. 1-20) المعايير بأنها انتظام بعض السلوكات المقبولة في مجتمع معين لتُصبح نماذج للسلوك الأمثل. كما تناول هيرمينز (Hermans, 1996) مفهوم المعايير بالتركيز على وظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالسلطة وبالايدولوجيا، فكان هارمنز من خلال هذا المفهوم الواسع للمعايير أكثر وضوحا في إبراز دور القيود الاجتماعية وتأثيرها على سلوك المترجم. وتؤكد بارتش (Bartsch) على الدور الاجتماعي للمعايير باعتبارها انعكاس للمفاهيم المشتركة بين أفراد مجتمع معين على واقعهم الاجتماعي (Schaffner, 1998, p.1). وهو ما يعني أنه يوجد في كل مجتمع اتفاق مشترك غير مصرح به على ما هو صواب أو خطأ وسلوك ملائم أو غير ملائم، وهذا الاتفاق الاجتماعي ينعكس في صورة معايير. إذا فالمعايير هي نماذج سلوكية تُوجه قرار كل فرد وما ينتج عنه من أفعال في مجتمع معين، وتقتضي تكرار السلوك نفسه في أوضاع

مماثلة، وفي حالة عدم تكرار هذا السلوك المتعارف على ملائمته يُقابل بالرفض من المجتمع بوصفه لا ينتمي لنظام ثقافته وهو بذلك سلوك غير مقبول، فالأفكار التي يشترك فيها أفراد مجتمع معين تنعكس في صورة معايير توجه سلوك الفرد في مجتمعه مع قابليتها للتغير في الزمان، فما هو غير مقبول في فترة معينة قد يكون مقبولا في فترة لاحقة.

ويقف القارئ عند أهم فصول الكتاب وهو الفصل الخامس الموسوم بـ "Constituting a method for Descriptive Studies" (تشكيل منهجية في الدراسات الترجمية) الذي يمثل المرجع الأساس في فهم التفكير الخاص بجدعون توري ورؤيته الجديدة حول الدراسات الترجمية الوصفية ومفاهيمه التي توجّهها باقتراح منهج وصفي مقارن (pp. 93-110)، ويتألف منهج توري من ست مراحل متسلسلة لدراسة الترجمات نوردها بالتحليل فيما يلي:

أولاً: الترجمات المفترضة ومدى قبولها: وتمثل هذه المرحلة الأولى حجر الأساس في منهج توري الذي يقوم على افتراض أن النص الذي نلاحظه هو فعلاً ترجمة لنص أصلي ويطلق عليها في أول البحث الترجمة المفترضة (Presumed traduction). وتبدأ ملاحظة نص الترجمة باعتباره ترجمة مفترضة والتساؤل عن مدى قبولها في نظام الثقافة المنقول إليها، وتقضي هذه المرحلة وضع سياق لنظام جزئي في الثقافة المنقول إليها أين تنتمي الترجمة والتساؤل عن دور الترجمة ودلالاتها ووظيفتها في الثقافة المنقول إليها. وتجدر الإشارة إلى أن للوظيفة هنا معنى سيميائياً، أي القيمة أو المكانة المرتبطة بعنصر ينتمي إلى نظام معين طبقاً لشبكة علاقات تتداخل فيه، وبالتالي فهذا المعنى للوظيفة يختلف عن معنى الغاية *Skopos* الذي تتبنّاه نظرية الغاية (Skopos theory).

ثانياً: مستويات الدراسة المقارنة: أين يحدد الباحث نوع المقارنة باعتبارها خطوة مبدئية حتى يتسنى له وضع أهداف بحثه في سياقها الزمني. ويقترح توري في هذا الشأن أربعة أنواع من المقارنة، وتتمثل في: مقارنة عدّة ترجمات لنص أصلي واحد إلى لغة واحدة وفي زمان واحد، أو مقارنة نصوص مختلفة لنفس الترجمة في مراحل انجازها مع النسخة النهائية، أو مقارنة ترجمات لنص أصلي واحد إلى لغة واحدة وفي فترات زمنية متباعدة، ومقارنة نصوص ترجمة لنص أصلي واحد إلى لغات مختلفة في نفس الفترة الزمنية.

ثالثاً: الملاءمة مع النص الأصلي المناسب: حيث يتعيّن على الباحث أن يركّز على النص في إطار الثقافة المنقول إليها، وأن تثبت وجود علاقة الترجمة بين النص الذي يفترض أنه ترجمة ونص آخر يفترض أنه النص الأصلي. إذ ينبغي على الباحث تحديد هوية النص الأصلي عن طريق تفسير بعض الخصائص اللسانية والثقافية التي تسمح بالربط بين النصين موضوع المقارنة.

رابعاً: تقسيم النص إلى وحدات للتحليل [الحلول الملائمة+المشكلات المعاد بناؤها]: ويكون الباحث إلى غاية هذه المرحلة قد حدّد وضّع النصّين، نص الترجمة والنص الأصلي، أي أن العلاقة العامة بين النصين معروفة بشكل واضح. ويبقى أن يقسّم النصين إلى وحدات للمقارنة والتي تقوم على العلاقة التالية: [الحل الملاحظ في الترجمة + المشكلة المعاد بناؤها في النص الأصلي]. ويتّسم اختيار وحدات التحليل في منهج توري بالمرونة، إذ هي ليست بالضرورة وحدات الترجمة التي استخدمها المترجم بل هي الوحدات التي يختارها الباحث بناء على مشكلة نظرية معينة أو موضوع يراه الباحث مؤثراً في ترجمة النص موضوع الدراسة.

خامساً: تحقيق التحليل ذهاباً وإياباً: أن ينطلق الباحث من ملاحظة نص الترجمة لتحديد الحل الموجود في الترجمة لمشكلة ينبغي أن يحددها بالانتقال إلى النص الأصلي، ثم العودة من النص الأصلي لملاحظة حلها في نص الترجمة. ويسمح هذا الذهاب والإياب بتحديد التغييرات واستراتيجيات الترجمة التي اختارها المترجمون، وبالتالي إعادة تشكيل وبناء مسار الترجمة.

سادساً: الكشف عن المفهوم الكامن في الترجمة: وهو الكشف عن الصورة الواقعية للترجمة موضوع البحث بمعنى تحديد العوامل أو المعايير المبدئية والتمهيدية والعملية التي تحكممت في القرارات المتكررة التي اتخذها المترجم. وهي المعايير التي تحكممت في الترجمة ووجهت سلوك المترجم وفق القيود الثقافية والاجتماعية التي تتميز بها ثقافة معينة في فترة زمنية محددة. ويكون الباحث في هذه المرحلة قد أعاد بناء مسار الترجمة من حيث تحديد التغييرات واستراتيجيات الترجمة وعلاقة نص الترجمة بالنص الأصلي (شكلية أو وظيفية) في كل ثنائية تحليل، ليتم تحديد المعيار المبدئي أو العلاقة العامة بين نص الترجمة والنص الأصلي من خلال حساب مجموع العلاقات في الثنائيات من المستوى الأصغر.

وقد لخص مانداي (Munday, 2008, p. 112) هذه الإجراءات الستة في ثلاثة إجراءات نعرضها فيما يلي:

أولاً: يضع الباحث في المرحلة الأساسية الأولى نص الترجمة في إطار نظام الثقافة المنقول إليها وينظر في دلالاته وقبوله فيها، أي يبحث في وظيفة الترجمة في سياق الثقافة المنقول إليها.

ثانياً: يقارن الباحث في المرحلة الأساسية الثانية نص الترجمة بالنص الأصلي المناسب لتحديد استراتيجيات والعلاقات من خلال مقارنة وحدات التحليل التي اختارها على أساس ظاهرة ترجمية معينة.

ثالثاً: يصل الباحث إلى تعميمات على كل الترجمة بعد إعادة بناء مسار الترجمة الخاص بثنائية النص الأصلي ونص الترجمة من حيث المعايير التي توجه الترجمة. تتعلق التعميمات أولاً بالمعيار المبدئي الذي يشير إلى التوجه العام للترجمة نحو أحد النظامين المعياريين، أي خضوعها لمعايير أحد النظامين، وهذا التوجه هو الذي يتحكم في الترجمة ويوجه سلوك المترجم، ويترجم هذا التوجه معايير الترجمة الأخرى سواء المعايير التمهيدية أو المعايير العملية.

ويلاحظ المتخصص في الدراسات الترجمة أن الاكتشاف هو هدف التوجه المنهجي الذي تبناه توري في اقتراحه لهذه المراحل في دراسة الترجمة لا سيما في انطلاقه من ملاحظة الترجمة كما هي عليه في الواقع، والاكتشاف هو غاية علمية تترجم فلسفة الباحث المؤلف ذات النزعة الامبريقية، وهو بلا جدال باعث ومحرك لتطور البحث في الترجمة وسبيل الباحثين المجيدين الذين يرفضون التقليد والاكتفاء بما ينتجه غيرهم من مناهج وأفكار ونظريات ومفاهيم في الترجمة.

يشرح توري في الفصل السادس والموسوم بـ "The coupled pair of replacing + replaced segments (ثنائية: الجزء المستبدل + الجزء المستبدل) حاجة الباحث إلى وحدة تحليل تقابلي لاستعمالها في الدراسة، كما يعرض على القارئ تحليلاً نموذجياً لثنائية تتألف من الحل المقترح في الترجمة في مقابل مشكلة الترجمة في النص الأصلي (pp. 115-127). وفي الفصل السابع بعنوان "An exemplary 'study in Descriptive Studies': Conjoint phrases as translational replacements" (مثال لدراسة في الدراسات الوصفية: الجمل المركبة من مترادفات باعتبارها

بدائل ترجمة) يسلط توري الضوء على الجمل التي تحتوي على تعبيرين متقاربين في المعنى أو ما يصطلح عليه بتعابير الإطناب (Tautological expressions)**، والتي تأخذ مكانة مهمة في الترجمة حيث يرى المؤلف أن نصوص الترجمة تحتوي على أكبر عدد من تلك الجمل مقارنة بنصوصها الأصلية، وهو ما تتميز به الترجمة إلى اللغة العبرية التي خصّها المؤلف باهتمامه في عرض أمثلة لتعابير انجليزية مترجمة إلى العبرية (pp. 131-141). والواقع أن استعمال توري للأمثلة من الترجمة في لغته الأصلية وهي العبرية بالرغم من ضعف مكانتها الأدبية في الأدب العالمي هو إقحام لا يمكن أن يبرر إلى من الناحية الإيديولوجية للباحث، وتتجسد لنا في هذا الصدد فكرة أن موضوعية الباحث وحياده في البحث الترجمي قد تصطدم بعوائق إبستمولوجية من أهمها إيديولوجية الباحث وآرائه الشخصية.

ويشمل الباب الثالث "Translation in context: An assortment of case studies" (الترجمة في السياق: مجموعة من حالات الدراسة) على سبعة فصول على غرار الباب الثاني، تحمل هذه الفصول في طيّاتها أمثلة متنوعة للسلوك الترجمي عُنيّت بالتحليل والمناقشة في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة، وينطلق توري في هذا الباب من وجهة نظر تاريخية إلى تطبيق المناهج التجريبية في الدراسات الترجمية، حيث يبحث في تلك التحوّلات التاريخية في فصلين: في الفصل الثامن "Between 'Golden Poems' and Shakespearean sonnets" (ما بين القصائد الذهبية وأشعار شكسبير) أين يقدم المؤلف عرضاً تاريخياً لمراحل ترجمة أدب شكسبير وأثره في الأدب العبري (pp. 143-158). وفي الفصل التاسع "A lesson from indirect translation" (درس من الترجمة غير المباشرة) يقدم توري بصورة منهجية علاقة الترجمة غير المباشرة بفعل الترجمة وأثرها فيه، ويناقش جوهر الترجمة غير المباشرة ليوصل القارئ إلى مرحلة النهضة التي أسهمت في تواصل الأدب العبري مع الآداب الأوروبية عبر الترجمة غير المباشرة (pp. 161-176). ويمكن اعتبار الأمثلة التي عرضها توري في هذا الباب مؤشراً على دور الترجمة في صنع أدب المجتمعات التي تمثل أقلّيات أخذوا بعين الاعتبار أن ترجمة الأدب العالمي المكتوب باللغات الحية إلى اللغات القديمة هو رافد من روافد بقائها وانتعاشها وتطورها.

يعرض المؤلف في الفصل العاشر "Literary organization and translation strategies: A text is sifted through a mediating model" (تنظيم الأدب واستراتيجيات الترجمة: تمحيص النص من خلال نموذج وسيط) شرحاً مفصلاً لقصة أطفال ألمانية موسومة بـ "Das Sclaraffenland"

بمعنى "بلاد الفرح"، وقد ترجمت القصة عام 1920م إلى اللغة اليديشية (Yiddish) المرتبطة بثقافة يهود شرق أوروبا بعنوان "Gan-Eden-Ha- Taxton" بمعنى "جنة الدنيا" (ويرفق النص الأصلي مع نص الترجمة في ملاحق الكتاب) (pp. 181-195)، يلي هذا الفصل مثال عملي (Excursus B) بعنوان "Translation of literary texts vs. Literary translation" (ترجمة النصوص الأدبية مقابل الترجمة الأدبية) والذي يؤسس قاعدة وظيفية للترجمة الأدبية بإبعادها عن أي نمط من أنماط النصوص الأدبية، ويقترح المؤلف معنيين للترجمة الأدبية متحدثا عن الأنماط اللسانية والنصية والأدبية للترجمة والعلاقة بين الترجمة الأدبية ومنهج الدراسة المتوجه نحو الهدف. ويتجلى تركيز المؤلف في هذا الفصل على التوجه نحو الثقافة المنقول إليها على أساس أن قوة أو ضعف النظام المنقول إليه هو من يحدد قيمة الترجمة وهي نفس الفكرة التي طرحها إيفن زوهار في نظريته الترجمة تعدد النظم أو الأنساق.

وفي الفصل الحادي عشر والموسوم بـ "Studying interim solutions: Possibilities and implications" (دراسة الحلول البديلة: احتمالات ومقتضيات) يبحث توري في قرارات عملية الترجمة في كل مراحلها مع توضيح أهمية قرار التلفظ اللغوي وكتابته على الورقة بالتساؤل عن ماذا يحدث في عقل المترجم (العلبة الصغيرة السوداء) (pp. 213-226). ويبرز في هذا السياق تأثير الدراسات التجريبية في الترجمة التي أقيمت في ثمانينيات القرن الماضي على طور الدراسات الوصفية لاسيما ما تعلق بوصف عملية الترجمة عن طريق التجريب، وقد أفضى هذا المسار التجريبي إلى نتائج مهمة في البحث الترجمي مثل استراتيجيات الترجمة التي نتجت من اعتماد تقنية الاستبطان أو استنطاق الخطوات العقلية التي تحدث في عقل المترجم أو ما يسمى بروتوكولات التفكير بصوت عال (Think-Aloud Protocols-TAP)، ومثال ذلك استراتيجيات الترجمة عند ياسكالاين (Jääskeläinen, 1993) التي ترى أن الغاية من وراء دراسة عملية الترجمة هو الفهم الأفضل للآليات النفسية واللغوية المتعلقة بعملية الترجمة.

ويأتي الفصل الثاني عشر "A translation comes into being: Hamlet's monologue in Hebrew" (ترجمة تأتي إلى الوجود: مونولوج هاملت إلى العبرية) في نفس الرواق أين يكشف الكاتب تدريجيا مفهوم المراجعة المنجزة أثناء عملية الترجمة لجزء من ذلك النص (pp. 227-237). ويرافق توري في الفصل الثالث عشر "Translation - specific lexical items and their lexicographical treatment" (ترجمة العناصر المعجمية الخاصة ومعالجتها المعجمية) على فكرة

مفادها أن نصوص الترجمة تركز على المستوى الأدنى من العناصر المعجمية وتخضع أساسا لمعالجة معجمية أثناء عملية الترجمة (254-241 pp)، وتلفت هذه الفكرة حول وحدة الترجمة انتباه القارئ إلى وجود اختلاف بين نظريات الترجمة حول ماهية وحدة الترجمة حيث تتبنى المقاربات والنظريات اللسانية في الترجمة الوحدات الصغرى كوحدات تحليل ووحدات ترجمة في حين تتبنى المقاربات والنظريات الترجمة الثقافية والتواصلية الوحدات الكبرى كوحدات تحليل ووحدات ترجمة مثلما هو الشأن عند النظرية التأويلية في الترجمة لدانिका سلسكوفيتش (Danica Seleskovitch) وماريان ليدرير (Marianne Lederer) أين تأخذ وحدة الترجمة مستوى النص وهو مستوى أعلى من العناصر المعجمية.

وفيما يتعلق بالفصل الرابع عشر " Experimentation in Translation Studies: Achievements, prospects and some pitfalls " (المنهج التجريبي في الدراسات الترجمة: الانجازات والآفاق والعوائق) فقد بدأ توري بتوضيح الفرق بين العلوم التجريبية والطرائق التجريبية بوضعه لسياق مناسب لنقد تطبيق المناهج التجريبية في الدراسات الترجمة، فهو يرى أنه من المفروض أن يمضي الباحث قدما نحو مفهوم التجريب باعتباره إجراءً تجريبيًا يحمل في فحواه افتراض أن البحث في أي ميدان علمي هو سلسلة من الافتراضات المتتالية، وبالتالي فإن المسار العام في البحث حول الترجمة مبني على الافتراضات وعلى درجات متتالية من عدم اليقين، ثم عمد بعد ذلك إلى الدراسات التجريبية الموجهة نحو الهدف بدءا بشرحه لحدود استعمال اختبار كلوز (cloze)*** بمعنى اختبار الحذف في الدراسات الترجمة (259-257 pp).

ومن المعلوم عند الباحثين في الترجمة أن هذا الاختبار، الذي ذكره توري، يتكون من نص ترجمة حُذفت منه بعض الكلمات ويُطلب من الخاضع للاختبار إكمال النص، وتتطلب طريقة التقييم هذه قدرة على فهم السياق والمفردات من أجل تحديد الكلمات الصحيحة أو نوع الكلمات التي تناسب المكان الفارغ في النص، ويستخدم هذا الاختبار عادة في تقييم تعلم اللغات، كما أن استعمال طريقة الاستبيان (Questionnaire) وهي طريقة بحث تتكون من مجموعة من الأسئلة المحددة بغرض تجميع المعلومات من الأشخاص موضع البحث، والهدف الأساسي من استعمال هذه الطريقة هو التحليل الإحصائي لإجابات المختبرين، ونذكر في هذا السياق الخاص بالدراسات التجريبية الموجهة نحو العملية حالة استعمال بروتوكولات التفكير بصوت عال (TAP) التي تهدف إلى فهم ما يجري في عقل المترجم أثناء قيامه بعملية الترجمة، وفي ختام هذا

الباب الثالث يقدم توري مثالا ثالثا (Excursus C) بعنوان "becomes a A bilingual speaker" (المترجم بلغتين مترجما: رسم بياني لنموذج متطور) مبينًا الظهور التدريجي للمترجم في إطار اجتماعي وثقافي معيّن (pp. 277-291). ونستشفّ من محتوى هذا الباب أن توري لم يفِ مكانة المترجم الاجتماعية والثقافية حقها ولم يتناول دور المترجم بما يليق للمترجم الإنسان من أهمية محورية في الترجمة، وقد يبرر هذا الإهمال من جانب توري لدور المترجم إلى نزعتة الامبريقية الصارمة التي تقتصر على الوجود الموضوعي للأشياء ولا تهتم بالعوامل الذاتية والايديولوجية للمترجم وتأثيرها في الترجمة.

يُخرج القارئ من هذا الكتاب من الباب الرابع الموسوم بـ "Beyond Descriptive Studies: Towards some laws of translational behaviour" (ما بعد الدراسات الوصفية: نحو بعض من قوانين السلوك الترجمي) أين يعرض فيه توري ما توصل إليه من استنتاجات حول الطبيعة الاحتمالية للقوانين الترجمية مقترحا قانونين يتحكمان في السلوك الترجمي وهما قانون التداخل اللغوي (Law of Interference) وقانون مطابقة المعايير المتزايد (Law of Growing Standardization). ويقصد توري بقانون التداخل اللغوي تأثير لغة النص الأصلي على نص الترجمة واستعمال المترجم للأنماط اللغوية للغة المنقول منها في صياغة نص الترجمة، ويقصد بقانون مطابقة المعايير المتزايد تكييف النص المترجم مع الثقافة المنقول إليها وجعل نص الترجمة أكثر مطابقة لمعايير اللغة والثقافة المنقول إليها (pp. 295-310).

ويظهر جليا من تحليل محتوى هذا الباب أن سبب اقتراح توري لقوانين في الترجمة هو تأثره بالنزعة المنطقية الوضعية الجديدة أو ما بعد الوضعية (Post-positivism) حيث يتبنى مفهوم القانون الوصفي التجريبي في شكل سلوك الترجمة المتكرر الملاحظ (Observational behavioural regularity) فقانون الترجمة عند توري هو قانون وصفي احتمالي غير مطلق وقابل للتكذيب، ويُعتمد كأساس للتنبؤ وقابل للاختبار، الترجمة عند توري هو قانون وصفي احتمالي غير مطلق وقابل للتكذيب، ويعتمد كأساس للتنبؤ، يمكن إثباته كما يمكن نفيه (Chesterman, 2016, p. 69). وهذان القانونان هما نتاج تطبيق توري لمنهجه الوصفي الاستقرائي في حالات مختلفة لنصوص أدبية وغير أدبية في لغات مختلفة لأزمنة مختلفة، وقد نتجا من تطبيق توري لمنهجه في تلك الدراسات تحديدا لسلوك الترجمة المتكرر في شكل فرضيات تفسيرية احتمالية، وقام توري بالتحقق من تلك الفرضيات وتعديلها في دراسات أخرى لتأخذ في آخر المطاف شكل القانون.

وقد تعرضت فكرة قانون الترجمة عند وري لكثير من النقد، فقد تساؤل هيرمنز (1996) عن مدى إمكانية معرفة كل المتغيرات المتعلقة بالترجمة وإيجاد قوانين تشمل كل الترجمات. ورأى مانداي (2008) أن التناقض يبدو واضحا في قانوني توري أو على الأقل هما في اتجاهين مختلفين حيث يتعلق قانون المعايير المتزايد بمعايير اللغة المنقول إليها في حين يتوجه قانون التداخل نحو النص الأصلي، ويقترح مانداي تعديل قانون التداخل لإزالة التناقض بقانون سَمَاه "Law of reduced control over linguistic realization in translation" أي (قانون نقص الرقابة على التحقيقات اللغوية في الترجمة). ويرى أنتوني بيم (Pym, 2014, p.79) في سياق عام أن البحث في قوانين الترجمة لم يشغل مساحة كبيرة في البحث في الترجمة كما هو حال البحث في كليات الترجمة (Universals).

ويستقرىء الملاحظ لواقع البحث في الترجمة سواء في معاهد الترجمة الجزائرية أو في غيرها من منابر البحث في الترجمة عبر العالم أن سبب العزوف عن البحث في قوانين الترجمة هو أن أغلب الباحثين في الترجمة هم أصحاب خلفية أدبية تجعلهم لا يهتمون بالبحث في قوانين الترجمة لبعدها عن المجال الأدبي وارتباطها أكثر بالعلوم الإدراكية (Cognitive Science). ونرى في هذا الإطار، وبعد القراءة الوصفية والتحليلية للأفكار المكتنزة في هذا الكتاب، توفر مساحة نظرية للباحث وفق منهج توري تعوضه عن اللجوء إلى رفض قوانين الترجمة أو قبولها، أين يمكن للباحث الاكتفاء بالفرضيات التفسيرية الاحتمالية التي تنتج من تطبيق منهج توري في دراسة ظاهرة ترجمية ما دون الارتقاء بها إلى درجة القوانين، واستغلال تلك الفرضيات الاحتمالية لتحقيق أهداف بحثية مختلفة سواء عن طريق المنهج التجريبي أو عن طريق المنهج التأويلي.

ويختتم توري مؤلفه بتقديم المصادر والمراجع (pp. 317-336) التي اعتمد عليها مُهْديا للقارئ باقة متنوعة من عناوين بعض الكتب القيّمة التي تساعد الباحث في الترجمة على التعمق النظري والمنهجي في الدراسات الترجمة المعاصرة.

4. خاتمة:

أثّرت نظرية تعدد النظم لإيفن زوهار في ميدان البحث بأفكار مهمّة حول وظيفة الترجمة ضمن حدود النظام الاجتماعي والتاريخي للثقافة المنقول إليها، وهو توجه جديد ومعاكس لتوجه النماذج التوجيهية أو التقنية لفترة ما قبل سبعينات القرن العشرين. ووجّه اهتمام إيفن زوهار، بالإجابة عن الأسئلة المرتبطة بالنظام المتعدد المنقول إليه، الدراسات الترجمة نحو التقصي

عن وظيفة نصوص الترجمة في إطار الثقافة المنقول إليها. وقد أنتجت هذه النظرية أفكارا ترجمية جديدة تبناها جدعون توري ليؤسس القواعد النظرية والمنهجية للدراسات الوصفية في الترجمة.

وقد تناول توري في مؤلفه الذي كتبه باللغة الانجليزية بعنوان *Descriptive Translation Studies and Beyond* (2012) أي (الدراسات الترجمة الوصفية وما بعدها) نقاشا نظريا حول المنهج الوصفي في الدراسات الترجمة وتطبيقه في دراسة ترجمات نصوص أدبية في لغات حية وأخرى قديمة وفي ثقافات عالمية وأخرى محلية مختلفة. وتتمازج النظرية والتطبيق على صفحات هذا الكتاب المفتوح على أربعة أبواب: فأدخلنا توري من الباب الأول ليعطينا صورة شاملة على المكانة المحورية للدراسات الوصفية في إطار الدراسات الترجمة، وفتح لنا الباب الثاني على عرض نظري مفصل للأساس المنطقي الذي أسس عليه منهجه الوصفي المقارن، وهو توطئة نظرية للباب الثالث المفتوح على أمثلة عملية يتناول فيها المؤلف أنماطا متعددة من السلوك الترجمي في لغات وثقافات مختلفة. وأغلق المؤلف كتابه بالباب الرابع الذي ناقش ماهية المعارف المتراكمة في ميدان الدراسات الترجمة الحديثة والتي من المرجح عنده أن تُسفر مستقبلا على نظرية عامة في الترجمة.

ويعتبر هذا الكتاب في غاية الأهمية لكل باحث في الدراسات الترجمة وخاصة فيما يتعلق بالمنهج الوصفي، وترتبط قيمته بمناقشته للأفكار الأساسية في الدراسات الترجمة الوصفية بشكل منهجي منظم من العام إلى الخاص، إذ ينطلق المؤلف من المفاهيم العامة للدراسات الترجمة في الباب الأول، ثم يتدرج من الباب الثاني الذي يسלט الضوء على المنطق الأساسي للدراسات الترجمة إلى الباب الثالث الذي يعرض جانبا تطبيقيا على بعض النصوص الأدبية في لغات وثقافات مختلفة، ليصل المؤلف في الباب الرابع والأخير إلى مناقشة المفاهيم الخاصة بقوانين الترجمة والمرتبطة بنتائج أبحاثه.

ويجدر القول في ختام هذه القراءة إن ما يميز النسخة المنقحة (2012) عن النسخة الأولى (1995) هو حملها لأفكار جديدة نتجت عن استفادة المؤلف من نقد بحوثه السابقة والتطور السريع في الدراسات الترجمة بعد نشره للنسخة الأولى، فكانت هذه النسخة المنقحة أكثر حداثة ومواكبة للمناهج والنظريات المعاصرة في الترجمة. ونرى بعد وصف وتحليل محتوى هذا الكتاب أنّ أهم ما يميّزه عن نظائره من الكتب في الدراسات الترجمة المعاصرة هو أنّه لا يقف عند الأفكار والمفاهيم المجردة بل يفيد القارئ بمعرفة أسس الدراسات الترجمة الوصفية

المنهجية التي تهدف إلى الاكتشاف والبحث عن المعرفة الترجمية الجديدة، وأفضل طريقة للاستفادة من هذا المؤلف ليس بالضرورة مناقشته نظرياً بل استخدام المنهج الوصفي الذي اقترحه توري فيه لفعاليته في البحث الترجمي.

إحالات:

* جدعون توري (1942-2016م) تحصل على شهادة الدكتوراه في الترجمة عام 1977م، ويعتبر من أبرز الباحثين المعاصرين في الترجمة، وهو مترجم وبروفيسور في الدراسات الترجمية والأدب المقارن منذ عام 1989م بجامعة تل أبيب بفلسطين المحتلة ("تل أبيب" هو اسم الحي الذي كان يسكنه مواطنو مدينة يافا من اليهود، والذي أُسس بين عامي 1909-1910م في ظل الحكم العثماني لفلسطين، وتقوم تل أبيب اليوم على أراضي سبع قرى فلسطينية هُجر أهلها بعد احتلال فلسطين عام 1948م).

** تعابير الإطناب (Tautological expressions) هي تعابير تتألف من كلمتين مترادفتين متقاربتين في المعنى تستعمل هذه التعابير من أجل الإطناب والإسهاب، ويضرب توري بعض الأمثلة باللغة الانجليزية منها مثال: law and order (القانون والنظام).

*** كلمة (cloze) مشتقة من (closure) بمعنى غلق وإغلاق.

المصادر والمراجع:

- Chesterman, A. (1993). From 'is' to 'ought': Laws, Norms and Strategies in Translation Studies. *Target*, (01), 1-20.
- Chesterman, A. (2016). *Memes of Translation: The Spread of Ideas in Translation Theory* (Revised edition). Amsterdam: John Benjamins.
- Gentzler, E. (1993). *Contemporary Translation Theories*. London and New York: Routledge.
- Gideon, T. (1995). *Descriptive Translation Studies and Beyond*. Amsterdam: John Benjamins.

- Gideon, T. (2012). *Descriptive Translation Studies and Beyond* (Revised edition). Amsterdam: John Benjamins.
- Hermans, T. (1996). Norms and the determination of translation: a theoretical framework. In Alvarez, R. and Vidal, M. (eds.), *Translation, Power, Subversion* (pp. 25-51). England: Multilingual Matters.
- Holmes, J. (1972/1988). The Name and Nature of Translation Studies. In J. S. Holmes (ed.), *Translated Papers on Literary translation and Translation Studies* (pp. 67-80). Amsterdam: Rodopi.
- Jääskeläinen, R. (1993). Investigating Translation Strategies. In Tirkkorencondit, S. and Laffling, J. (2nd ed.), *Recent Trends in Empirical Translation Research* (pp. 99-120). Joensuu: University of Joensuu.
- - Liu, K. (2014). Prescriptive Aspects of the Descriptive Translation Studies. *International Journal of English linguistics*, 4 (4), 13-21.
- Munday, J. (2008). *Introducing Translation Studies: Theories and applications*. London, and New York: Routledge.
- Pym, A. (2014). *Exploring Translation Theories* (2nd ed). New York: Routledge.
- Schaffner, C. (1998). The Concept of Norms in Translation Studies. *Current Issues in Language and Society*, 05 (1-2), 1-9.
- Wolf, M. (2007). *Constructing a Sociology of Translation*. Amsterdam: John Benjamins.